الحسناء

الجزء العاشر — المجلد الاول

بيروت في ٢٠ اذار سنة ١٩١٠

هلن كلر

Helen Keller

نابغة عظيمة — عجيبة الدهر — قادرة الزمان

عجائب صماء خرساء — عالمة مولفة

لا تقولي يا آنسة ان ما رويته لنا الآن عن هلن كلر حديث خرافة من اساطير الاولين او عجيبة من عجائب القديسين . ولا تتوهمي يا سيدتنا انه فصل ملفق من فصول علي الزيبق او الف ليلة وليلة .. لا .. لا تنكروا صحة الرواية قبل الرواية ولا اخيلاتها من غرائب السحر والتنويم

فان هي الا رواية حقيقية صحيحة شهد بصحتها اكابر العلماء واشهر الكتاب وأثبت الشهادة الناس صادقون . فضلا عن كونها خاضعة لحكم العقل قابلة لتجربات العلم الطبيعي . وفتاتها اليوم حية ترزق ما تجاوزت بعد الثلاثين من عمرها . ما جعدت وجهها الايام ولا بيضت شعرها الاعوام . ما دب فيها الهرم ولا بدا منها الخرف . ما ادعت بمعجزة فوق الطبيعة ولا بالوحي ولا بالالهام

بل جل ما فيها ذكاء نادر واستعداد غريب . نبوغ عظيم اصابه داء افقده السمع والبصر والنطق ثم واتته الاحوال وساعدته الظروف فبدا آية من ايات الدهر تبرهن قدرة الانسان وتمجد عظمة الخالق

وقد عم بها الاميركيون والاوربيون من عدة سنوات وتأكدوا صحة ما سمعوه عنها بكثرة ما نشره الصحفيون من اخبارها الصادقة مدعومة بالادلة القاطعة واليراعين الكاتبة فضلاً عن تاريخ حياتها المطبوع باللغة الانكليزية في ٤٤٠ صفحة . وقد ذاع صيتها واشتهر امرها حتى لم يبق من يجهلها في العالم الا من لم يطالع صحف الافرنج

وبقي الحديث الآن ان تكون اول من يعرّفها الى بنات سوريا وابنائها (بلم آنسة سورية من حيث ولد المسيح) وان ترسم على صفحاتها اول مثال لها في الصحف العربية

وفيما نحن نهم بنشر هذه اللمحة من سيرتها العجيبة لبناتنا المستنيرات بلغنا ان رئيس المدرسة الكلية الدكتور هورد بلس تكلم عنها في خطاب له (عن حاسة اللمس وقوتها الطبيعية وتأثيرها العجيب) وحرّض سامعيه على اقتناء كتبها ودرس احوالها بتدقيق

ومما هو حري بالذكر وبعد من غرائب الاتفاق ان شاعرنا السوري خليل الخوري كان نظر اليها من عالم الغيب قبل ولادتها بعشرين سنة كما نظر المتنبي كبير شعراء العرب الى المعري فيلسوفهم العظيم . فتنبأ عنها بقوله

لا يعجبني من كل انسان سوى عمياء خرساء تشكو شدة الصمم

كما تنبأ ابو الطيب عن ابي العلاء بقوله

انا الذي نظر الاعمى الى ادبي واسمعت كلماتي من به صمم

وهذا ما كتبته عنها الآنسة كاثوم نصر المؤيد في الناصرة ترجمة من اللغة الروسية . تذييله ببعض اقوالها من كتابها (العالم الذي اعيش فيه) عربتها الآنسة جوليا طعمه في بيروت من اللغة الانكليزية

استلفت نظرك اللطيف يا اختي الى فتاة تجسم فيها ذكاء مفرط ونشاط

عجيب وقوة مزية لا توصف وتجلت فيها باعظم مظاهرها قوة العقل البشري واقتداره على عوارض الطبيعة فان كان مثل هذا الموضوع يهمك فعليك بقراءة سيرة هلن كلر العمياء الصماء الخرساء التي قال عنها مارك توين الكاتب الاميركي الشهير انها وبابليون اشهر مشاهير القرن التاسع عشر . تخرجت في احدى كليات اميركا العلمي ونبغت بعلم الادب وتوالت عديدة

تهب فينا عاطفة الشفقة والحزن حينما يقع نظرنا على اعمى او اطرش ونتساءل ايهما اتعس فاقد البصر او فاقد السمع فاذا قلت يا اختي في من جارت عليه الطبيعة فحرمته السمع والبصر والنطق وقيدته بقيود الى مالي الظلام الدائم والسكوت المستمر وسدت دونه باب المال والامل . الا ترين ان مثل هذا البائس خالٍ من الحياة الروحية هو كالشيء بالحيوان منه بالانسان

فلا عجب اذا حركت العواطف الانسانية كثيراً من العلماء فسعوا سعياً حثيثاً في تخفيف مصيبة اخوانهم في البشرية فجاءت اعمالهم مكللات بالنجاح اذ اخترعوا الحروف النافرة والفوا فيها كتباً عديدة يوجد منها في مكتبة برلين نحو ٩٠٠٠ كتاب وفي تورنتو نحو ٣٠٠٠

وقد انشأ الدكتور هاو في مدينة بوستون مدرسة للعميان ولم يكتف بذلك بل بذل جهده في تنوير من هو اشد تعاسة منهم فعلم انه عمياء صماء خرساء وهذه نجحت في تعليم هنة سلفان التي اشتغلت في اصلاح اخلاق الدكتور هاو وتيسر لها تعليم الآنسة هلن كلر العمياء الصماء الخرساء وها انا اروي لك يا اختي شيئاً من سيرة هذه الشهيرة

ولدت هلن كلر في ٢٢ حزيران سنة ١٧٨٠ في مدينة الاباما من اعمال الولايات المتحدة . فلما صار عمرها ١٩ شهراً اعتراها مرض شديد حرمها السمع والبصر والنطق واخذت بعد ذلك تخاطب الناس بالاشارات

التي قلما كان يفهمها احد . فيثور حنقها وتستشيط غضباً فتهجم على من كان حولها وتلطمه ثم تطرح نفسها على الارض وتعض يديها . ولما اجتازت سن الطفولية صارت تعرف اكثر اوقاتها في المطبخ او بين الطيور فتطعمها او في الاسطبل فتداعب الخيل . وكان والدها ذا ثروة واسعة فسمح لها بكل ما تهوى اليه نفسها . ولم يمنع عنها شيئاً ولم يسبب لها ادنى كدر . فنشأت مستبدة قاسية لا يعرف قلبها الشفقة وكانت تقفل الباب على الناس وطعامهم . ورمت اختها مرتين عن السرير فكادت تقتلها وانبه والدها الى ما صارت اليه من شراسة الاخلاق فعوضا امر تربيتها الى السيدة حنه سلفان من مدرسة بستون . وكانت حنه المذكورة لما حضرت الى بيت كلر تتوقع مشاهد فتاة لطيفة ساذجة . ورسم احتياجها الى اهم الحواس الانسانية ادرات الحزن والكآبة على محياها فرأت في الباب ابنة قوية البنية ذات وجنتين حمراوين بلون القرمز اختطفت المكنس من يدها حين دخولها البيت واخذت تفتش فيه

ولم تطع هلن معلمتها في بادي الامر بل كانت تمدُّ يدها الى صحن غيرها على المائدة وترمي المنشفة عن صدرها الى الارض وتسحب الكرسي من تحت معلمتها وكثيراً ما كانت تغيظها وتحبسها في حجرتها غير ان المعلمة كانت حازمة لا يثنيها عن عزمها شيء . فلم يزعجها ما كانت تبديه تلميذتها من شراسة الاخلاق وفظاظة الطبع بل صممت على القيام بواجباتها بعزم ثابت . فطلبت من والد هلن ان يخصص لها ولتلميذتها بيتاً منفرداً وفي وقت قصير علمتها الطاعة واخضعتها لارادتها و بدأت بتعليمها بهمة لا تعرف الكلل واول شيء لقنتها اياه انها اخذت لعبة ووضعتها بين يديها ثم كتبت اسم اللعبة (doll) على يدها ولما صارت الآنسة قادرة على اعادة

هذه الكلمة اهدتهم الماء ثم علمتها كلمة «سكة» كذلك وغيرها من الكلمات البسيطة التي لا يندر وجودها في اللغة الانكليزية وذلك بالطريقة نفسها. ولم يمض شهر حتى تعلمت هلن ٦٠ كلمة ولا نقدر ان نصف عظم سرورها وسرور معلمتها حينما ادركت انه يوجد لكل شيء اسم واخذت تسأل معلمتها عن اسماء الاشياء التي كانت تتناول وكررها وتقدمت بعد ذلك تقدماً عجيباً ادهش معلمتها المشيعة فأدركت اذ ذاك ان تلميذتها فريدة بذكائها ونباهتها وقوة جنانها. ثم صارت هلن تركب من الكلمات جملاً ومن الجمل قصصاً صغيرة وبعد سنة كانت قد تعلمت نحو ٩٠٠ كلمة فاخذت تحرر رسائل بسيطة. واول تحرير كتبته هو الآتي بعد ثلاثة اشهر من بداءة تعليمها بيت الى البنات العميان الصغار في مدرسة بستون هذه الرسالة

هلن ومعلمتها ستحضران زيارة البنات العميان الصغار. هلن ومعلمتها ستحضران على الباخرة. هلن تقدر ان تكتب وتمشي وتحب كل البنات العميان. هلن عمياء. هلن تضع المكتوب في الغلاف وترسله الى البنات العميان

هلن كلر

ثم بعد مضي ١٤ شهراً من بدء تعليمها كتبت لناظر المدرسة في بستون ما يلي حضرة الطواويس المحبوب

احب ان اشكر سعيدة بحريتي لكم هذه الرسالة التي احبكم كثيراً واشكركم على ارسالكم الكتاب والحاويات والخاتم. قريباً احضر اليكم والقي عليكم عدة اسئلة عن ممالك مختلفة

ولدكم هلن كلر

وكانت رسائلها تنم عن عبقرية فائقة للغاية. وكانت تميز بين الازهار من رائحتها لا بل تميز بين الالوان وما يدل من هذا القبيل على شعورها المرهف ما جاء في كتابها تاريخ حياتي: «قليلون هم الذين يعرفون اللذة التي يشعر بها

الانسان فتلمسها بيده او يلاحظ حركات الزنبقة اذ يداعبها النسيم اذا فتحت زهرة فاني اشعر بفتحتها الحشرة الموجودة فيها وعندي شعور بالاشياء التي لا اراها وشأني في ذلك شأن الجذور التي تشارك رؤوس الاغصان بالفرح وتشعر بنور الشمس ونسيم الهواء وذلك بقوة محبة الطبيعة "

وكانت تحب ان تجلس في الغرب في الليالي المقمرة وتقول انها تشعر بضوء القمر حينما تمس يدها زهر الماء . وفي سنة ١٨٩٣ زارت معرض شيكاغو ورأت اغرب مصنوعات العالم فسمح لها اصحاب المعرض ان تمس بيدها كل ما تريده . ومن اعظم واهم ما يذكر من تاريخ حياة هذه النابغة العجيبة هو انطلاق لسانها . فلما كان لها من العمر ١٠ سنوات علمت ان فتاة زوجية حمراء خرساء . فلما تعلمت الكلام خطتها نفسها ان تتقدم بها فاخذتها معلمتها الى السيدة فيوار الاختصاصية فتعلمت هلن في ساعة واحدة ٦ اصوات ركبت منها جملة ذات ثلاث كلمات وبلغ منها السرور معظمه حينما عادت الى البيت وجعلت تكرر تلك الكلمات . فاهتمت معلمتها حتة في متابعة العمل فكانت تأخذ يد هلن وتضعها على اعضاء النطق في فمها فتشعر هذه بهيئة تلك الاعضاء وقت لفظ الاصوات فتفعل مثلها . وصارت هلن قادرة على النطق بحيث يفهمها من يسمعها

ثم تعرفت هلن بالعلماء والمصورين . وكان قلبها محباً لليتامى والمساكين فتساعدهم قدر طاقتها وتجمع لهم الصدقات . ولم تكتف بما اكتسبت من العلوم والمعارف في بيتها بل حدثتها النفس ان تدخل الكلية في كمبريدج . فاوضحت لها المعلمة ما يستلزمه من المتاعب والمشقات فلم يزدها ذلك الا ثباتاً فرحلت مع معلمتها اليها ودخلت المدرسة الاعدادية فاهتم بها المعلمون ايما اهتمام وخصوصاً رئيس المدرسة فانه تعلم طريقة الكتابة المختصة بالعميان الصم

وجعل يعلم تلميذته الذكية مباشرة . فتعبت هلن جداً في تحصيل ما يلزم من العلوم ليحق لها دخول الكلية واكثر عنايتها كانت بالعلوم الرياضية خصوصاً علم الهندسة . فكانوا يبدون لها اعلاكاً على الوسادة بشكل القضية المطلوب حلها وكانت تبقى مكبة الى ان تحلها . اما اللغات الاجنبية فانها تعلمتها بسهولة كلية واحبت اللغة الالمانية وصارت تتكلم بالافرنسية واللاتينية واليونانية وكانت تقرأ شكسبير وديكنس وزاحم هوميروس ثم علمت التاريخ والفلسفة واكثر هذه المؤلفات طبع لاجلها بالاحرف البارزة . وكانت المعلمة تتبع تلميذتها الى غرف المحاضرات فتنقل لها ما يقرأ المعلمون وجاء في رسالة مرّ ذكرها عن الفحص السنوي في الكلية حين حاولها الوسادة حسب القانون دون ان تساعل وتقدمت في اكثر الدروس فحصاً دلّ على نجاح باهر .

وقد بقيت هلن الان الربع الثالث من عمرها . وهي عالة كلية يشيد لها كل من يعرفها بالعقل والزكاء والذكاء ما عدا تضلعها في العلوم خصوصاً الرياضية

قلبت السيدات اللواتي لم تحرمن الطبيعة شيئاً من انوار العقل يفتدين بهذه العمياء الصما . فتستقي عقولهن بنور العلم الصحيح

بعض اقوال هلن كلر

يقول الشعراء ان الليل عجائب مبهمة مدهشة وانا اقول ان ليل الاعمى الدائم هو ايضاً يتخلله غرائب تبهج وتدهش . وليس من ظلمة حقيقية الا في جهل عديم الشعور

ليس اختلاف الناس هو بامتلاك العقل لكل الحواس وتوهم البعض فقط بل استعمالهم لها او بالحري باستعانة الذين بها يطلبون حكمة والمعرفة وباقي الامور التي لا يمكن للانسان ان يتوصل اليها بالحواس الجسدية

الا تظنون ان الاعمى ذا الشعور يستطيع ان يرى عظمة الجلالات بالمرا وهو قريبها بينما الجاهل بها ولا يرى فرقاً بينها وبين الجدول الذي يسير في حقله او بجانب بيته

قد رأيت الالزاسيين مفتوحة يتعاطون بجاسة الفكر ولكنهم محرومون من نتائجها . يقطعون المسافات ولا يلاحظون الاحراج والبحر والبلد . يقرأون الكتب ولكن لا يفهمون . ينظرون الى جمال غياب الشمس وشروقها والى تلون الظلال والاودية باختلاف الفصول بعيون مفتوحة ولفوسيهم الفة وتقوم خاصة لخامدة

وابن الفلاح حاضر وهو في ابي الطويل الذي يقلقه الناس مظلماً متمتعة بشعور رقيق ولو لغة بدائية وعقل مستنير من ان اكبر خاصة على حاستي السمع والبصر وتكون حافظي كمن ذكرت

ثم ان فقد القارة مصيبة عظيمة وخسارة جسيمة لا تعوض . ولكن لا يمكنها ان تحرمنا نحن المسيحيين لذة الخدمة والعمل والصداقة والسرور والتصور والحكمة

هي الارادة السرية الداخلية التي تقوي قوانا الروحية . ونحن قادرون بالارادة ان نسكن عقلاء صالحين . قادرون ان نحب ولا نغب . قادرون ان نفكر ونسمو نحو الكمال نحن نملك قوى الروحية كباقي اولاد الله . وقلما يمكننا ان نرى البروق ونرعد على جبل سيناء . نجتاز الوادي والماء كن للعجلة فيرينا اياها الناموجة مزهرة كبستان ورد . نحن ايضاً كباقي اولاد الله نسعى الى ارض الموعد لنرث كنوز الروحية والحياة الابدية

وطنية الالزاسيات

تجددت قضية الالزاس في الشهر الماضي بما ابدته من دلائل الوطنية وما قامت به من الاحتفاء باستقبال الخوري واتربي العضو الالزاسي في مجلس النواب الالماني . وذلك بمناسبة خروجه من السجن بعد ان مكث فيه شهرين وكان سجنه لاسباب سياسية عدتها الحكومة له جرماً . فحاكمته وحكمت عليه

الالزاس ولاية فرنسوية الاصل اخذها الالمانيون من الفرنسويين في حرب سنة ١٨٧٠ وما برحوا يعملون على تثبيت اقدامهم فيها وقتل استقلالها شيئاً فشيئاً حتى قرروا منع اللغة الافرنسية من مدارس الحكومة . وصار